سورة الحجر

المبحث الأول: التعريف بالسورة

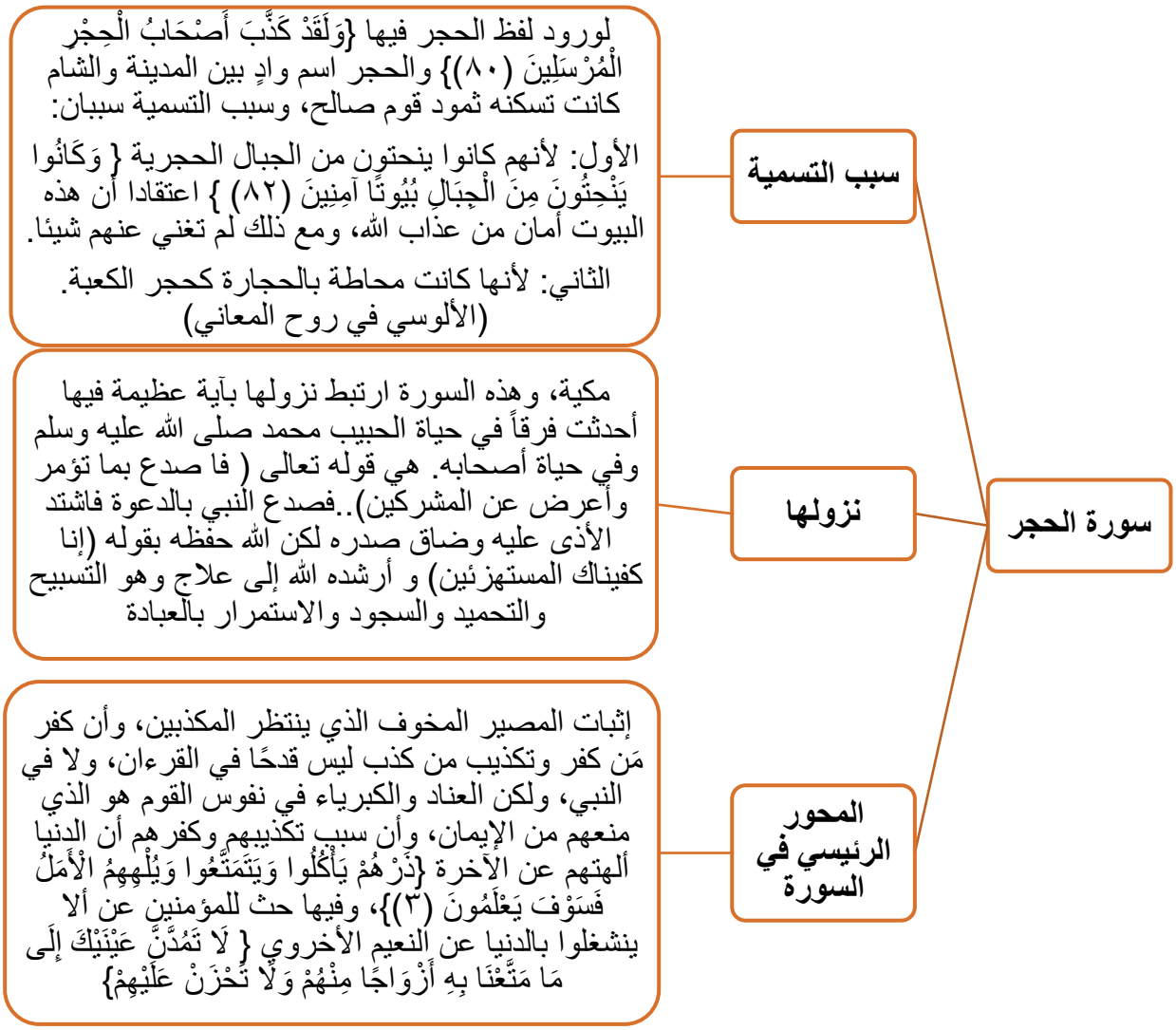

هداية ... وعمل

في السورة استشعار باسم الله الحفيظ فالسورة من بدايتها الى نهايتها تدل على ذلك .. حفظ للنبي(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليقين) حفظ الله للقرآن (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). _ حفظ الله للسموات والأرض (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم).حفظها الله من استراق السمع وحفظها حفظ للقران الكريم. _ حفظ الأرزاق في الخزائن (وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين *وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم). _ حفظ ماء المطر في باطن الأرض(وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين). _ حفظ الله لأدم وذريته حيث قال(لأغوينهم أجمعين* إلا عبادك منهم المخلصين) هذه الآية تبين كيف واجه الشيطان ربه بأنه سيغوي عباد الله إلا الذين حفظهم الله تعالى. حفظ الله لإبراهيم عليه السلام بأن أمده الله بالولد على كبر وبشره وأرسل له الملائكة وجعله يضيف الملائكة، ولا يوجد أحد ضيف الملائكة إلا إبراهيم عليه السلام، فهذا نوع من الحفظ والكرامة

المبحث الثاني: المناسبات في السورة.

المبحث الثالث: محتويات السورة.

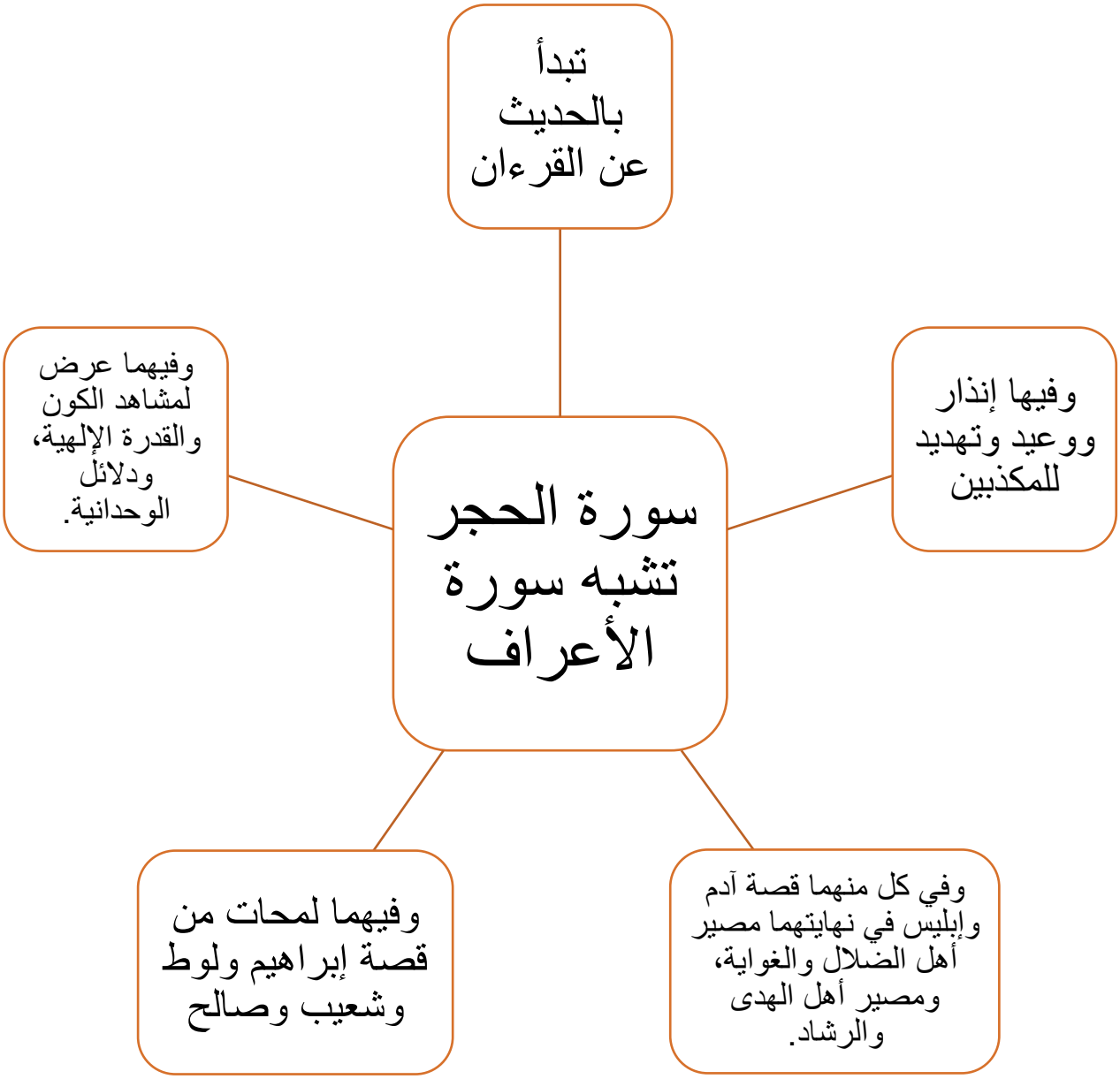

المبحث الرابع: موضوعات السورة والترابط الموضوعي لها.

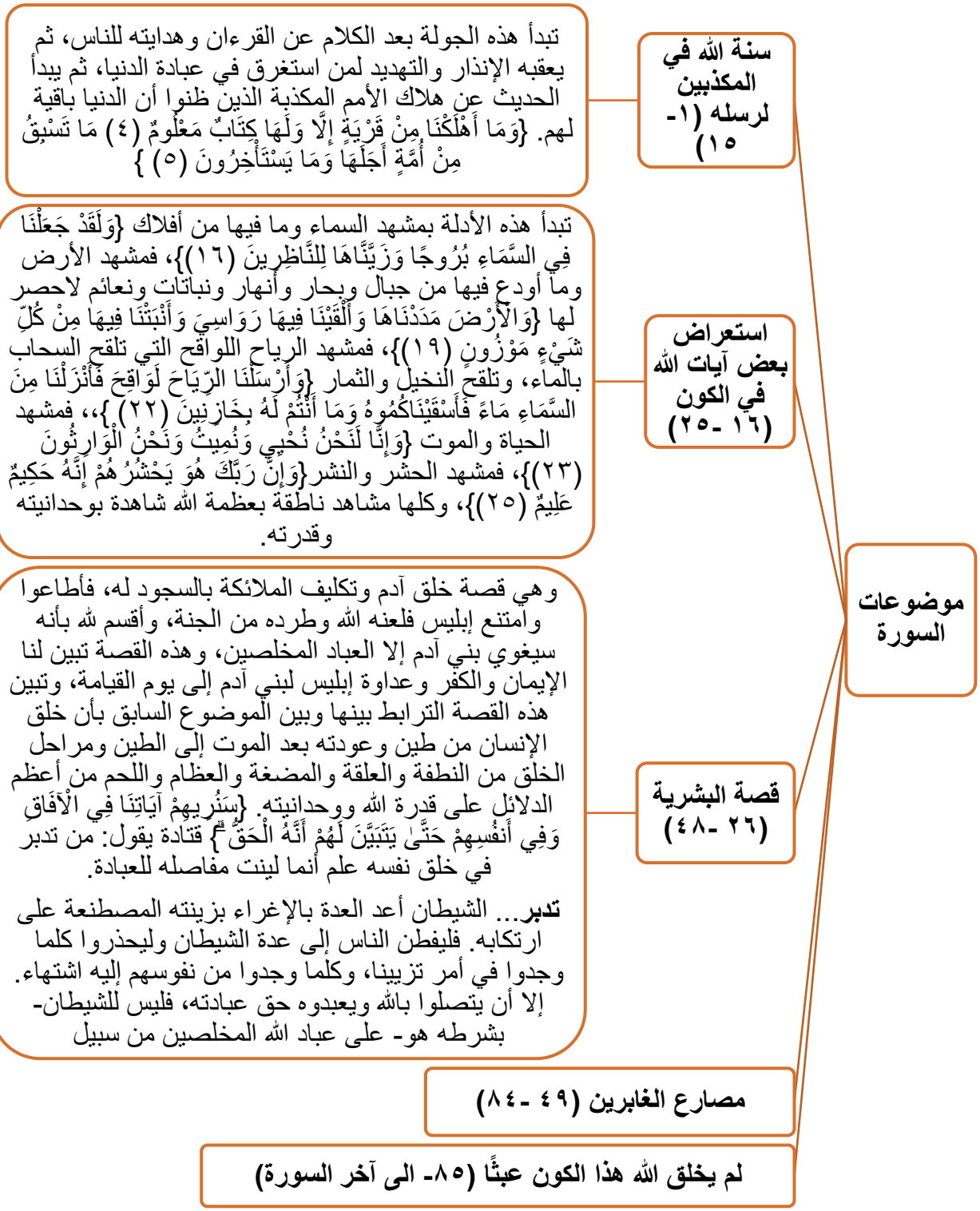

ترابط الموضوعات

مصارع الغابرين (٤٩ - ٨٤)

وهي تبين لنا كيف أهلك الله قوم لوط، وأصحاب الأيكة، وأصحاب الحجر وتذكر الأسباب والنتائج.

فقوم لوط لما فسقوا وأرادوا الفاحشة بالأضياف كان عذابهم أن قلب الله عليهم قراهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل {فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤)}. ونتأمل هنا أن الملائكة لما أتت لإبراهيم أتته ببشرى ونفس الملائكة أتت بالعذاب لقوم لوط، وهذا فيه دلائل على قدرة الله ووحدانيته، وأن من تمسك بالقوي حماه وآواه وسخر له كل شيء ليعينه ويحفظه.

وأصحاب الأيكة كذبوا نبيهم شعيب فانتقم الله منهم فأخذتهم الصيحة، فأصبحوا في ديارهم ميتين كأن لم يكونوا فيها.

وأصحاب الحجر عقروا الناقة، وكذبوا برسولهم فأخذتهم الصيحة بدءًا من الفجر إلى الإشراق {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣)}، قال ابن عباس : ما أهلك الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم صالح وقوم شعيب ، أهلكهم الله بالصيحة ؛ غير أن قوم صالح أخذتهم الصيحة من تحتهم ، وقوم شعيب أخذتهم الصيحة من فوقهم.

وهذا يدل على أن الله هو الذي يحفظ العباد، بدليل ثمود بنوا من الجبال بيوتا تقيهم الصواعق والزلازل والله أهلكهم بصيحة تدخل آذانهم وتبيدهم وما نفعتهم احتياطاتهم، ومن تأمل مصارع هؤلاء القوم لوجد أنها قريبة من جزيرة العرب حتى يتعظوا ويؤمنوا كما قال تعالى {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ، وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"}

لم يخلق الله هذا الكون عبثًا، وتذكير الله لنبيه بنعمة القرءان وأمره بالعبادة حتى الممات (٨٥ - الى آخر السورة)

الله لم يخلق الكون عبثا وإنما خلقه ليتعرف العباد على ربهم، فيعبدوه ولايشركوا به شيئا، ويوم القيامة يكون الحساب، فيثيب المطيع ويعذب العاصي

ثم يذكر الله العباد بنعمة القرءان، وأنه أفضل من زخارف الدنيا وزينتها {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)} وأمر للنبي ألا يحزن لكفرهم ويستعين على ذلك بالتسبيح وكثرة السجود والثبات على الحق وعبادة الله الى الممات {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) }

سورة النحل

المبحث الأول: التعريف بالسورة

سورة النحل

أسمائها

النحل: لاشتمالها على الكلام عن النحل {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} تشير للوحي الرباني للنحل و طاعتها له، و لإرشادات الله لها (اتَّخِذِي) (كُلِي) (فَاسْلُكِي). فلما أطاع النحل الله و نفذ أوامره، أخرج الله من بطونها عسلاً فيه شفاء للناس، ففيها أن من أطاع الله يهتدي ويستنير حاله ويشفى قلبه، وكلمة شفاء لم ترد في القرآن إلا مرتين، مرة مع العسل و مرة مع القرآن لتؤكد لك ان في هذا القرآن شفاء لروحك مما تعانيه. ومن اللطيف أيضاً ان مملكة النحل قائمة على الإناث، و ليس للذكور إلا دور بسيط جداً. و كانت الأوامر كلها بصيغة المؤنث (اتَّخِذِي) (كُلِي) (فَاسْلُكِي) ففيها دور المرأة في رفعة الدين .

النعم:لأن الله ذكر فيها نعائم كثيرة امتن بها على عباده {وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} فقد ذكر في أولها قواعد النعم وأصولها، وذكر في آخرها كمال النعم وتمامها.

نزولها

مكية، ما عدا بعض الآيات مدنية، وهي من آخر ما نزل على النبي في مكة بعد الهجرة إلى الحبشة، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} قَالَ الْكُفَّارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَرُبَتْ فَأَمْسِكُوا عَنْ بَعْضِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ حَتَّى نَنْظُرَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ لَا يَنْزِلُ شَيْءٌ، قَالُوا: مَا نَرَى شَيْئًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} فَأَشْفَقُوا وَانْتَظَرُوا قُرْبَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا امْتَدَّتِ الْأَيَّامُ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ مَا نَرَى شَيْئًا مِمَّا تُخَوِّفُنَا بِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ} فَوَثَبَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ورفع الناس رؤوسهم، فَنَزَلَ: {فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} فَاطْمَأَنُّوا، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ"، وَأَشَارَ بِأُصْبُعِهِ "إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي". وَقَالَ الْآخَرُونَ: الْأَمْرُ هَاهُنَا الْعَذَابُ بِالسَّيْفِ وَهَذَا جَوَابٌ لِلنَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ حِينَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، يَسْتَعْجِلُ الْعَذَابَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

عدد الآيات ١٢٨ باتفاق العلماء

المحور الرئيسي للسورة

ترسيخ أصول الإعتقاد : الوحدانية، والألوهية، والوحي والبعث، وذلك من خلال التركيز على نعائم الله للدفاع عن العقيدة وكذلك ضرب الأمثال لذا تعرض السورة مدح لإبراهيم لدفاعه عن التوحيد. {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١)} أنعم الله عليه بنعم ظاهرة وباطنة فقام بشكرها فكان نتيجة هذه الخصال الفاضلة اجتباه ربه واختصه بخلته وجعله من صفوة خلقه وخيار عباده المقربين وهداه إلى الصراط المستقيم في علمه وعمله فعلم بالحق وآثره على غيره

هداية ..
الواجب تجاه نعائم الله استخدامها في طاعته، وشكر الله عليها، وليس الجحود والنكران واستخدامها في المعاصي والذنوب

المبحث الثاني: المناسبات في السورة.

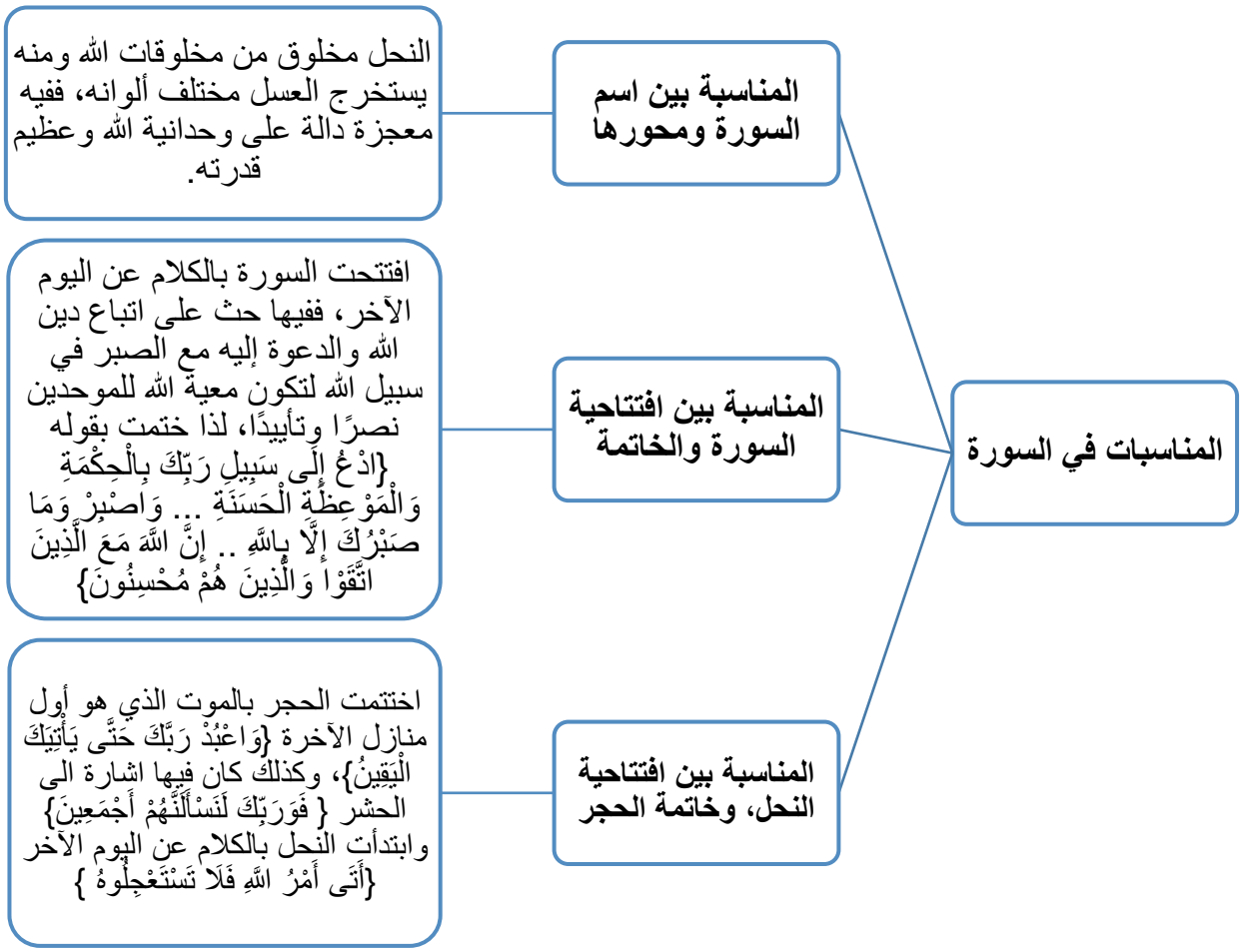

المبحث الثالث: مقاصد السورة.

المقصد الأول: إقامة الأدلة على وحدانية الله وقدرته، ليتأمل الإنسان فيها ويصل إلى أعلى درجات الإيمان وكما قال الحسن البصري: "تفكر ساعة خير من قيام ليلة"

- نعمة الوحي والقرءان: لإحياء القلوب التي أماتها الكفر والضلال والعصيان.
- خلق السماوات والأرض العظيمة ثم خلق الإنسان النموذج المصغر في الكون
- ثم تذكر خلق الأنعام، والخيل والبغال والحمير وتذكر منافعها وأنها مسخرة للإنسان
- ثم تعرج على خلق العقل في الإنسان واستعداده للهدى والضلال وأن الله لو شاء لقصره على الطاعة { وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩) }
- ثم ذكرت خلق الجواهر والمعادن من الارض والأسماك واللؤلؤ والمرجان في البحار
- وبعد استعراض آيات الخلق يقول الله: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) }، وكلها من النعائم التي يألفها الإنسان ولايشعر بها إلا إذا فقدها {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨)} ثم يعقب على ذلك بالدعوة إلى عبادته لأنه الخالق الذي أنعم عليكم بكل هذه النعم فهو المستحق وحده للعبادة {إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢)}
- وبعد بيان الأدلة الكثيرة على وحدانية الله وقدرته، تُظهر الأدلة موقف أهل الكفر الشنيع إزاء النعم، وتبين مصيرهم المحتوم بضرب الأمثلة {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦) }

المقصد الثاني: الرسل والرسالات.

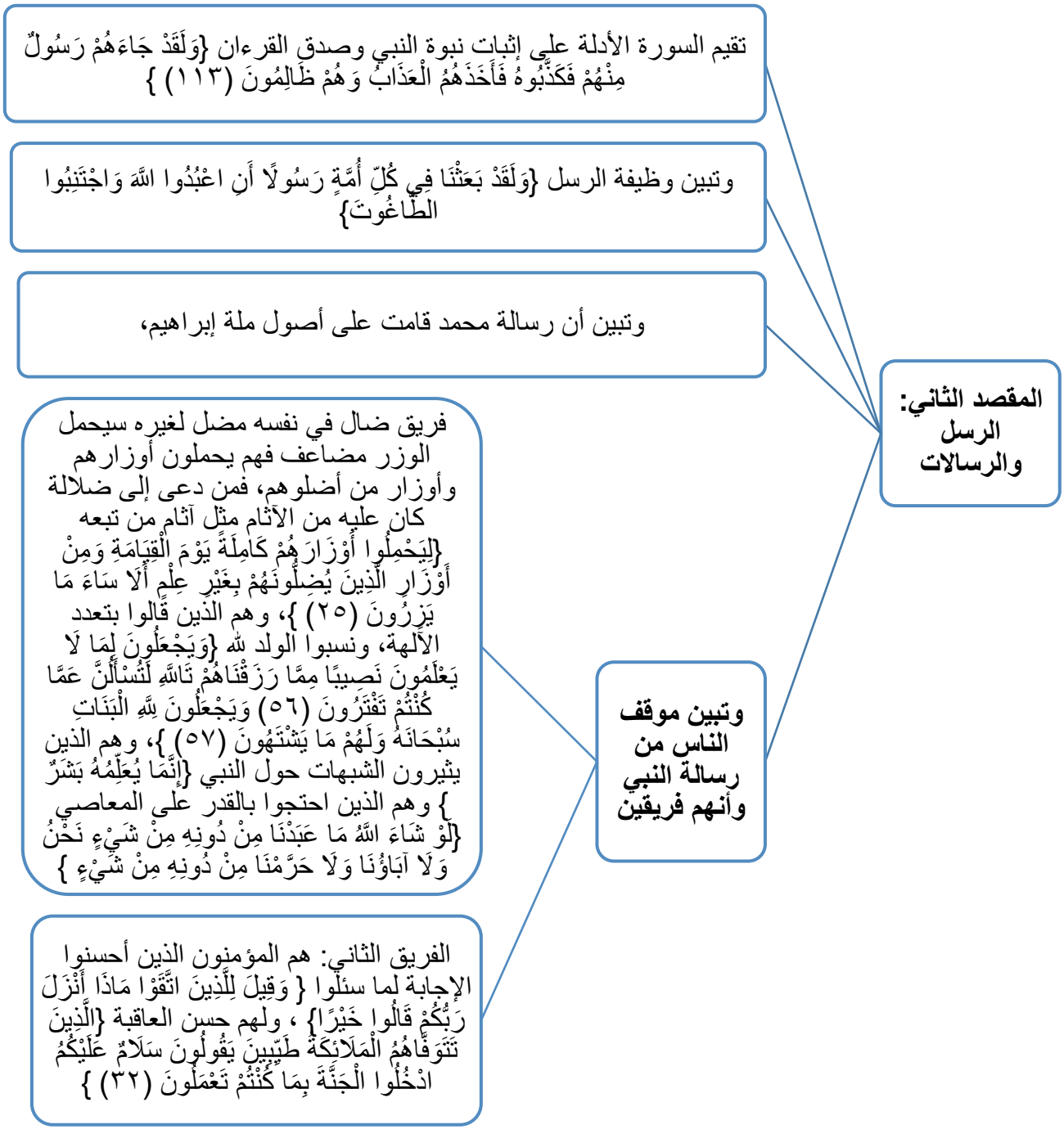

المقصد الثالث: إثبات البعث والنشور واليوم الآخر.

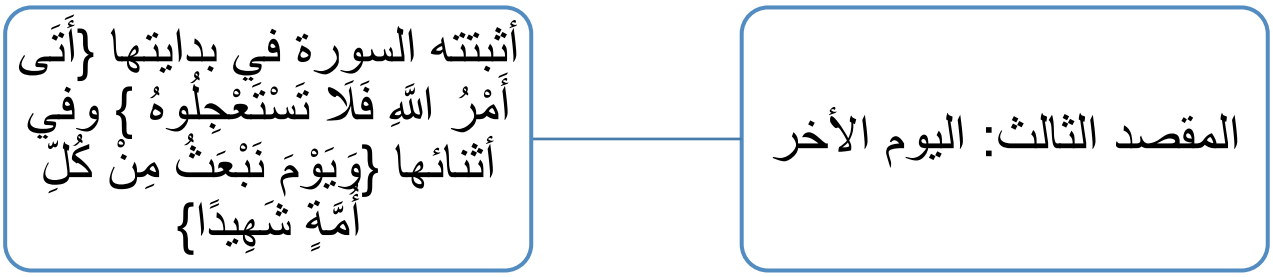

سورة الإسراء

سورة الإسراء نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في مكة قبيل هجرته إلى المدينة بعام وبضعة أشهر. نزلت على النبي عليه الصلاة والسلام بعد وقوع معجزة الإسراء في فترة اشتداد الخناق عليه، فبعد سنوات من الدعوة المتواصلة لقومه وعشيرته لم يلقَ فيها سوى صنوف من العذاب والتنكيل والسخرية والإستهزاء والتكذيب من قبل قومه وعشيرته وما آمن معه سوى فئة قليلة كان الغالب عليها من المستضعفين والعبيد. إضافة إلى ما وقع إليه من فقدانه لزوجته خديجة رضي الله عنها التي كانت تعينه في دعوته، وفقده لعمه أبي طالب الذي كان يدافع عنه أمام عدوان قريش وصدّهم وتكذيبهم، في تلك الأثناء شعر بأن الأبواب قد غلِّقت أمامه وأن أهل الأرض قد ضاقوا عليه وضيقوا الخناق عليه فإذا بمعجزة الإسراء تُحدث تسلية له عليه الصلاة والسلام تؤكد وتبين له أن يا محمد إن كانت أبواب الأرض قد غلِّقت دونك فإن أبواب السماء مفتوحة أمامك، وإن كان أهل الأرض قد صدّوا وكذّبوا، فإن أهل السماء يعرفون قدرك ولذا هم يحتفون بك أشدّ الحفاوة وأشدّ التكريم.

ولم يكن الغرض من الإسراء تسلية قلب النبي فقط بل من أهم المقاصد أنه يبين أن الإمامة قد إنتقلت من الأنبياء إلى النبي عليه الصلاة والسلام متمثلة في إمامته بالأنبياء بالمسجد الأقصى فقد صلّى بهم إماماً، صلّى بإبراهيم عليه السلام صلّى بموسى وعيسى وكانت الإمامة قد أوكلت في فترات من الزمن لبني إسرائيل ولذا جاءت الآية التي تلي آية الإسراء (وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢) الإسراء) كانت الإمامة والإصطفاء والإختيار في بني إسرائيل الذين آمنوا بموسى عليه السلام وآمنوا بكتابه التوراة وكان بنو إسرائيل هم الأمة الوحيدة الموحِّدة في العالم بأسره آنذاك. ولكن أمة بني إسرائيل لم تحمل تلك الأمانة كما كان ينبغي لها أن تحمل، لم تقف من تلك التعاليم الواردة في التوراة الموقف الصلب القوي الثابت وإنما وقفت مواقف متباينة فتارة تحرّف الكلم عن مواضعه، وتارة تشترى بآيات الله ثمناً قليلاً، وأخرى تبيع كلمات هذا الكتاب ولا تقف عنده سلوكاً ولا تطبيقاً في واقع حياتها وقد حكى القرآن في سور كثيرة العديد من تلك المواقف المتباينة لبني إسرائيل مع هذا الكتاب العظيم التوراة، وحكى عنهم كذلك المواقف التي كانوا يقفونها من أنبيائهم قتلاً وتكذيباً وتزويراً وتحريفاً.

المبحث الأول: التعريف بالسورة.

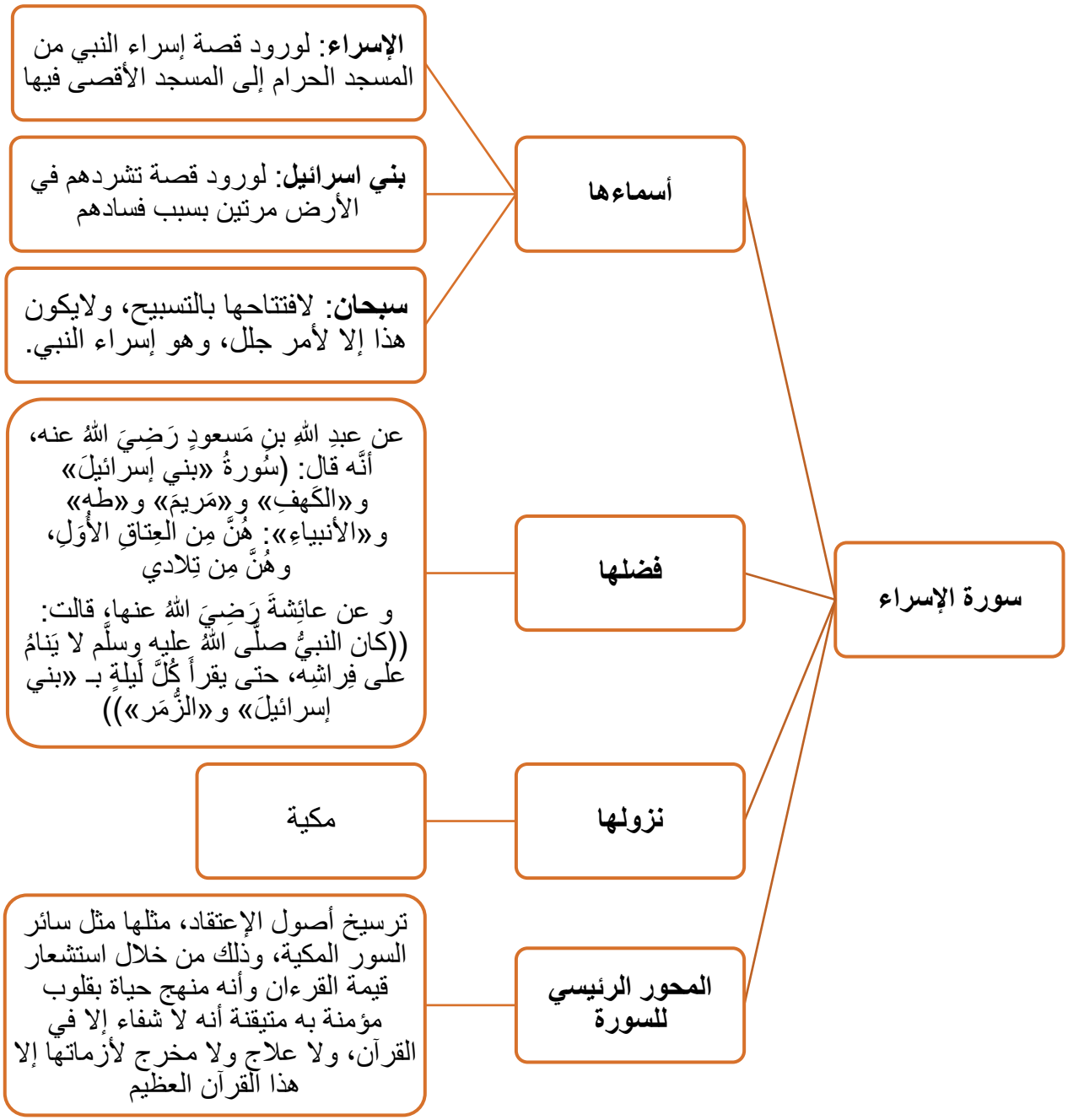

المبحث الثاني: المناسبات في السورة.

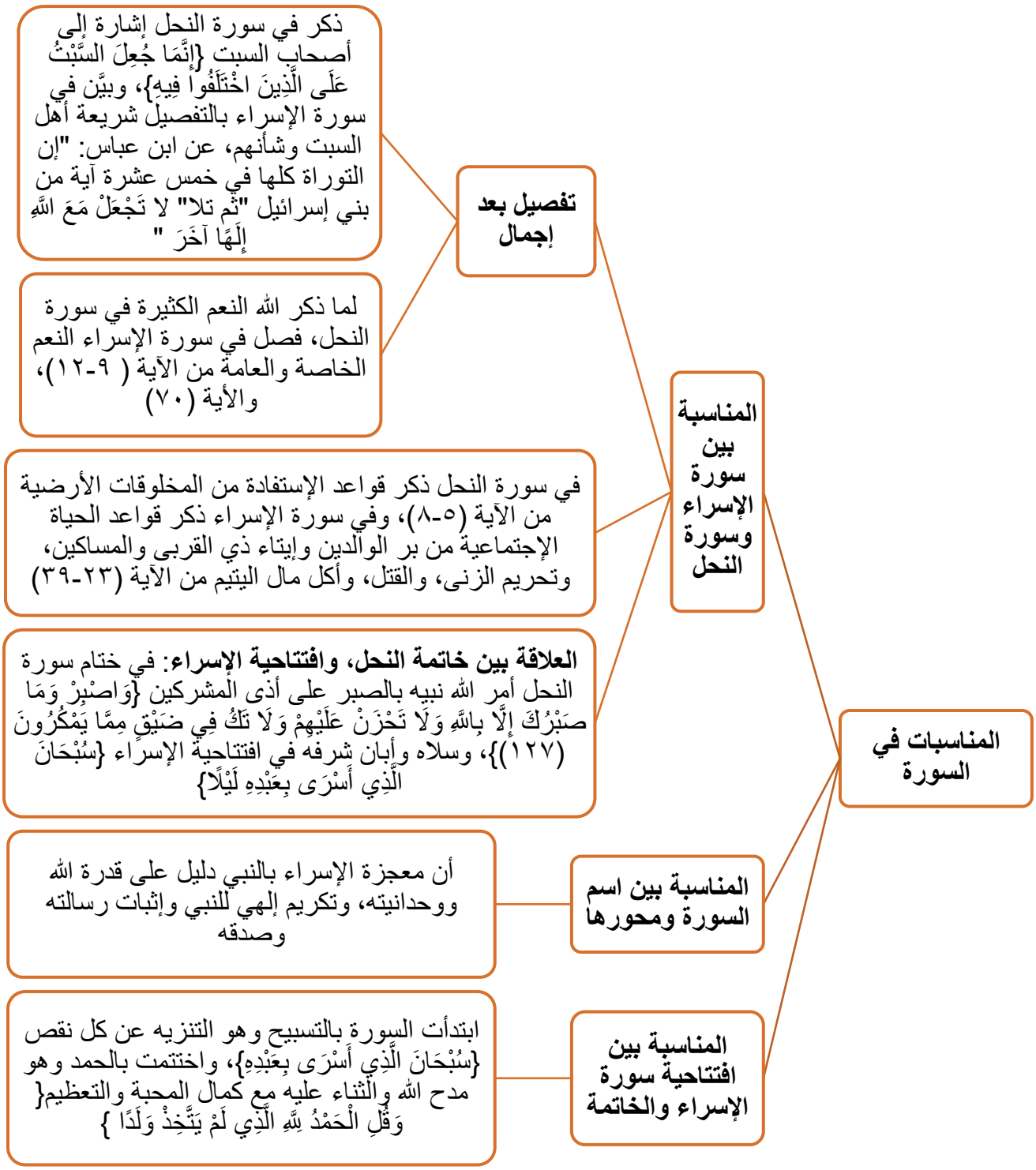

المبحث الثالث: الترابط الموضوعي للسورة مع بيان المقاصد والتدبر.

موضوعات السورة

معجزة الإسراء جاءت في آية واحدة فقط مفتتحاً السورة بأسرها بالتسبيح والتمجيد والتقديس حيث يقول (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوالسَّمِيعُ البَصِيرُ (١)). كانت قريش تدرك وتعرف المسافة الواقعة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، كانت قوافلهم تمر بذلك الطريق ولكن هذه المرة روى لهم وحدثهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى بما كانت تمر به القافلة التي كانت قد أرسلوها في تلك الأثناء، حدثهم عن طريق واصفاً إياه بكل ذرّة فيه وبكل نقطة بل واصفاً كذلك المسجد الأقصى الذي لم يكن قد رءاه النبي عليه الصلاة والسلام واصفاً إياه وكأنه ينظر إليه عياناً، وتلك كانت فعلاً معجزة ولا تزال هذه معجزة، ولذا إرتد الكثير من الناس بعد معجزة الإسراء ولكن في ذات الوقت ثبت في تلك المعجزة كأبي بكر الصديق الذي قال قولته المشهورة حين جاءته قريش تقول له (أما سمعت بصاحبك ماذا يقول ويحدث الناس اليوم؟ قال وماذا يقول؟ قالوا: يقول أنه قد أُسريَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليلاً، فإذا بالصديق يقول إن كان قال فقد صدق لقد صدقته في خبره عن السماء فكيف لا أصدقه في هذا؟!) وسمّي من ذلك الوقت بالصديق.

ثم جاءت الآيات في الحديث عن بني إسرائيل بقول الله عز وجل (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤)) والمراد به الإفساد المادي والمعنوي، والعلو والإستكبار الذي وقع في بني إسرائيل حين أعرضت وصدّت عن كتابها وعن تعاليم موسى عليه السلام التي أنزلت في التوراة، وإيراد هذه الآيات بعد آية الإسراء لتبين أنه أنتِ أيتها الأمة الجديدة يقع اليوم على كاهلك أمانة التكليف أمانة التشريف مسؤولية الشهادة على الأمم مسؤولية تأدية الأمانة والرسالة إلى الأمم المختلفة، ومن هنا عليك أن تنتبهي جيداً فلا تقعِ فيما وقعت فيه الأمة السابقة من بني إسرائيل.

ثم أتت الآيات تحدد موقف الأمة الإسلامية من كتابها، و تحديد المواصفات التي جاءت ووردت في كتابها العظيم القرآن. ففي سورة الإسراء وردت صفات وخصائص للقرآن لم ترد في أي سورة أخرى سوى الإسراء. بل لفظة القرآن تكررت أحد عشر مرة، وفي هذا دلالة واضحة على أن العناية الكبرى ينبغي أن تنصرف لمقصد الإهتمام بالقرآن، وخصائص القرآن، فبقدر ما تقترب الأمة الإسلامية من القرآن تطبيقاً وإيماناً وفهماً وتدبراً وتنفيذاً في واقعها بقدر ما تكون قد تحققت بالشهادة على الأمم، وابتعدت عن الإفساد المعنوي والمادي والعلو والإستكبار الذي وقع في بني إسرائيل، والعكس بالعكس (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا (٧) الإسراء)

الترابط الموضوعي

ثم تأتى الآية العظيمة التي تبين أول خصائص القرءان (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ (٩) الإسراء) يهدي للتي هي أقوم أي أكمل وأقرب للصواب والإحسان والكمال. وجاءت أقوم مطلقة لم تأتي أقوم في أي مجال أقوم في الاخرة أو في الدنيا ليدل على أنه أقوم في كل ميادين الحياة، فحين تختلط المفاهيم والإشكاليات في قلب الإنسان فالذي يفصل فيها هو القرآن الهادي القويم المبين، (وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) الإسراء) يؤكد القرآن في كل مواضعه أن الإيمان ليس مجرد إدعاء وقول باللسان، لا بد أن يصاحبه عمل للصالحات

ثم تنتقل الأيات آية بعد آية تبين طبيعة الإنسان وتعالج خصائصه فبدأ بقضية المسؤولية الفردية، مسؤولية الإنسان عن سلوكه وتصرفاته بقول الله عز وجل (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣)) مسؤولية الواحد منا عن أعماله وعن أقواله وعن خواطره وعن تصرفاته. ثم تقرر من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه، قضية الهداية والضلال، وهذا محض إختيار يختاره الإنسان وهو مسؤول عن ذلك الإختيار، يختار الهداية طريقاً له فهي الهداية الحقيقية التي ستأتي ثمار هذه الهداية في حياته هو وفي آخرته. وكذا الأمر إذا إختار الضلال فهو مسؤول عن هذا الإختيار مسؤول مسؤولية لا يمكن أن تقع إلا على نفسه ولذا جاءت في الآية (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (١٥) الإسراء) لا أحد يتحمل عنك كما كان يظن قريش ويستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم بقولهم أنهم سيحملون أوزارهم وأوزاراً مع أوزارهم سيتعاونون على حمل الأوزار والذنوب يوم القيامة.

الترابط الموضوعي

ثم في نفس الوقت تنتقل الآيات من قضية المسؤولية الفردية إلى قضية مسؤولية الفرد تجاه مجتمعه من حوله فيقوم تصحيحاً وتغييراً وتبديلاً لكل ما حوله من أخطاء وإنحرافات أو سلوكيات (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦)) في كل تلك الأثناء تربط الآيات بالأحداث والأخطاء التي وقعت في بني إسرائيل، كانت أمة بني إسرائيل أمة لا تستشعر المسؤولية الجماعية، لذا بين الله خيرية هذه الأمة بأنها تأمر بالمعروف وتنكر المنكر، وأن على الفرد أن يعزز الصواب والحق وفي نفس الوقت لا يناصر باطلاً ولا إنحرافاً بل على العكس يحاول التصحيح.

ثم انتقلت الآيات لتبين الجزاء الأوفى لمن عمل بها (وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُومُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) الإسراء) سعيك مشكور حتى وإن لم تأتي الثمار ولا النتائج، أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر إلتزامك ومدافعتك عن الحق مشكور ومحفوظ عند الله عز وجل وستلقاها غداً في كتابك. وفي هذا قد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم في مكة أروع الأمثلة قدوة وأسوة في كل شيء إستمر في دعوته ما يزيد عن العشر سنوات دعوة متواصلة أين نتائج النجاح التي حققها؟ لم تكن تلك النتائج مانعاً ولا حاجزاً للنبي عليه الصلاة والسلام عن مواصلة دعوته عن تقديم رسالته، وهكذا ينبغي أن يكون الواحد منا. أنت تعيش في مجتمع سعيك مشكور تصحيحك للخطأ وإنكارك للمنكر مشكور ومحفوظ لا تخشى شيئاً لا تقل لا قيمة له، لا تقل أن ما تقوم به سيذهب هباءاً منثوراً، أبداً، عليك أن تقوم به والجزاء على السعي والعمل ليس على النتيجة أبداً. فلا تقاعص في هذا الدين ولا تكاسل ولا إحباط ولا يأس طالما أن هذا الإنسان يسير في طريقه في الحياة .

ثم تأتي الآيات بتسلسل رائع مقدمة نماذج بأن القرءان يهدي للتي هي أقوم بدأت بالعنصر الأساسي الحقيقي الذي تدور عليه كل الأعمال الصالحة عنصر التوحيد (لاَّ تَجْعَل مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ (٢٢) أن تنفض عنك كل الأنداد، كل الأرباب أن تكفر بكل الأصنام، التوحيد الفعال يدخل مع الإنسان حتى خواطره في المشاعر التي تدور في نفسه وعقله وقلبه يحرر الإنسان من العبودية لأي صنم إلا العبودية لله الواحد الأحد، يتحرر من سلطان المال ، السلطة سوى سلطة الله سبحانه وتعالى الواحد الأحد، فحين ذلك يتحقق التوحيد في كل الحياة، مثلا الأم والأب لم تعد العلاقة بينك وبينهم علاقة عادية وإنما أصبحت علاقة إنسانية راقية سماها الله عز وجل بقوله (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (٢٣)) علاقة إحسان وإصلاح وتفاني في سبيل إرضاء الأم والأب وخاصة حين يبدأ الأم والأب بالدخول في مرحلة الشيخوخة تلك المرحلة التي يبدأ الإنسان يشعر فيها بالتردي من موقع القوة إلى موقع الضعف بالشعور والإحساس بالحاجة إلى الأبناء.

الترابط الموضوعي

ثم تنتقل الدائرة إلى الإحسان إلى الأقارب لا كما نشهد في مجتمعاتنا الحالية سرت فيها بعض الأمثلة الشعبية الممقوتة (الأقارب عقارب) أي مصدر للسموم وللأذى كيف يسيغ لمجتمع إرتضى بالقرآن منهجاً أن يبرر تحت أيّ ظرف من الظروف أن تكون العلاقات بين أولى القربى علاقة سُمِّية، يحكمها البغضاء والشحناء والتنافر والبعد والصد والنفور من بين بعضنا البعض؟ القرآن يصحح هذه العلاقات ويؤكد أن الإنسان الذي اختار القرآن منهجاً لحياته لا يمكن أن يسلك مع أقاربه هذا المسلك بل لابد أن يتبع قوله (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ (٢٦) الإسراء) هو حق للأقارب إن لم أقم به فأنا مقصّرة في جنب الله (وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) الإسراء)

ثم تنتقل الآيات بتسلسل عجيب من مجال الإجتماع ومن مجال الأسرة إلى مجال الإقتصاد لتضع لي قواعد حقيقية بقوله عز وجل (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) الإسراء) إنه التوازن والتعادل في كل شيء كنموذج من نماذج معالجة القرآن للأمراض وللأدواء المستعصية والتي ينبغي أن يطبق ليس فقط على سبيل حياة الأفراد وإنما على المجتمعات على الدول التي أصبحت تنفق أكثر من مدخولاتها فوقعت في أزمات ديون على مدى سنوات طويلة

ثم تنتقل الآيات بإعجاز عظيم واضح من دائرة الإجتماع إلى دائرة الإقتصاد إلى دائرة الأمة فتحرم سلسلة من الجرائم الخُلُقية والإنحرافات التي ينبغي للمجتمع أن يهتم بمعالجتها وأن يقتلها وهي في مهدها (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا {٣١} وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً {٣٢} الإسراء) عالج القرآن القضيتين في آن واحد، حرم الزني لقطع المسألة ومحو ظهور الأولاد غير الشرعيين الذين يرغب اباء في قتلهم.

ومن الجرائم (وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ (٣٣) الإسراء) (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (٣٤) يقيم القرآن للإنسان في نفسه محكمة حقيقية رقابة ذاتية يجعل الإنسان الفرد هو الوازع الحقيقي لصده ولردعه عن إرتكاب أي جريمة من الجرائم وهذه أعظم وسيلة لمعالجة الجرائم المختلفة.

الترابط الموضوعي

وتستمر الآيات في معالجة الفرد والمجتمع في وقت واحد لتصل إلى معالجة قضية العلو والإستكبار والإستخفاف بالآخرين مانعة الإنسان حتى من أن يظهر نوعاً من الإستكبار على أخيه الإنسان ولو في طريقة مشيه، قال الله عز وجل (وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً (٣٧) الإسراء) لا تمشِ في الأرض وتحاول أن تُظهر أنك متعالي على الآخرين حتى وإن كنت قد أوتيت من الوسائل المادية التي يهيأ لك أنها تبرر لك أن تكون مستعلياً على الآخرين لأن هذه الصفة من أشد الأمراض خطورة في المجتمع تفصل بين الإنسان وأخيه الإنسان تعدم تماماً عنصر المسؤولية والتكافل الإجتماعي، فيعيش الإنسان بعيداً عن آلام وأحزان وفقر وحاجة إخوانه، فأتت هذه الآية تعالج إشكالية الطبقية في المجتمع.

ثم تأتي الآيات ذاكرة خاصية أخرى من خصائص القرآن (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا (٤١) هذا القرآن جاء بأمثال متعددة (لِيَذَّكَّرُواْ) فمن أعرض عن هذا القرآن كما حدث مع بني إسرائيل حين أعرضوا وصدوا عن التوراة كانت النتيجة (وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا)

ثم تأتي الآيات وتؤكد مرة أخرى آية بعد آية على الموقف الذي ينبغي أن يقفه الإنسان حيال هذا القرآن العظيم يقول الله عز وجل مخاطباً نبيه (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا {٤٥} وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا {٤٦} نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا {٤٧} الإسراء) هذا الموقف العجيب الذي وقفه المشركون تجاه القرآن العظيم موقف الصد والإعراض وعدم الرغبة في الإستماع لآيات القرآن، كانت النتيجة المترتبة عليه أن وقع بينهم وبين القرآن حاجزاً هذا الحاجز لم يتمكنوا بسببه من رؤية الحق والنور الموجود في القرآن العظيم وهو أمر محسوس أنا حين أضع على عيني ستراً أو غطاءاً أو غشاوة هل أتمكن من رؤية نور الشمس مهما كان ذلك النور واضحاً ظاهراً جلياً؟! أبداً، لماذا؟ لأني أنا من قمت بوضع ذلك الغطاء حاجزاً بيني وبين نور الشمس. وهكذا القرآن ولله المثل الأعلى في تعاليمه نور في أحكامه شفاء لمن لم يضع حاجزاً بينه وبين هذا القرآن العظيم، وهذا لابد أن يكون دأبنا ألا نجعل الدنيا والمشاكل والعلاقات حاجزًا بيننا وبين تدبر القرءان.

الترابط الموضوعي

وتستمر الآيات في معالجة الأدواء والأمراض السارية في المجتمع وفي الفرد بقول الله عز وجل (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣)) إختيار الألفاظ الجميلة الحسنة واحدة من أعظم دعائم التعايش في المجتمع الواحد قد يكون المجتمع متنوعاً ولا ضير في ذلك فالنبي صلوات الله وسلامه عليه عاش وسط المشركين عاش وسط اليهود وسط النصارى وسط المنافقين ولكنه دائماً وأبداً إختار نهج القرآن، مع الأقرباء ومع الأباعد مع الأصدقاء ومع الأعداء في الحرب وفي السلم إبتغى منهجاً واحداً منهج القرآن يقول التي هي أحسن.

ثم تأتى الآيات وتبين معركة حقيقية مستمرة ما الذي يحول بين الناس وبين الحق؟ إنه الشيطان، له وسائل متعددة للإغواء لكن تأثير هذه الوسائل يسقط ويتهاوى حين يصبح الإنسان عبداً لله عبودية إختيارية (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً (٦٥) حسمت المعركة مع الشيطان. العباد الذين ابتغوا القرآن منهجاً لحياتهم، في الصغيرة وفي الكبيرة هم عباد ليس للشيطان عليهم سلطان أبداً، فهم لا وكيل لهم ولا كفيل يتولى شؤونهم سوى الله وحده.

ثم تأتي الآيات آية بعد آية لتبين كيفية وقوع الإنسان وترديه في بعض الحالات نتيجة لشعوره بالقوة أو بالعزة عن منهج الحق وعن القرآن العظيم، فتذكر له بعض النماذج ماذا لو أنك كنت في عرض البحر وكنت تركب سفينة وفجأة تحول المنظر من إنسان مسيطر على دفّة هذه السفينة محركاً لها إلى إنسان لا يمتلك حيالها أي شيء، تتلاطم به الأمواج يهدده الموت في كل مكان إلى من يلجأ سوى لله الواحد الأحد؟ (وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٧) الإسراء)

ثم تواصل الآيات معالجة الأدواء النفسية والإنسانية إلى أن تصل إلى قول الله عز وجل (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُو شِفَاء وَرَحْمَةٌ (٨٢)) لمن؟ (لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا (٨٢))، القرآن حوى أسباب الشفاء والعلاج بشرط أن تكون مؤمناً بقدرته على الشفاء والعلاج، عدد كبير من المسلمين اليوم يعتقدون أن العلاقة مع القرآن لا تخرج عن إطار التلاوة والترداد أو الحفظ حتى باللسان، أخذ البركة أخذ الحسنات وخاصة في المواسم المعروفة كموسم شهر رمضان، وهذه السورة تبين أن القرءان هو منهج حياة، آتي للقرآن لأجد حلاً لمشاكلي أطبق آيات القرآن في سلوكي فتصبح أخلاقياتي وسلوكياتي إنعكاس وتفسير لآيات القرآن كما جاء في قول عائشة رضي الله عنها حين سُئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقالت كان خُلُقه القرآن)، فلابد ألا لا يكن همي أن أصل إلى نهاية الجزء أو السورة أو أختم بقدر ما يكون همي ما الذي تعلمته من القرآن؟ أعيد الآية مرة ومرتين وأكثر لأصل بها وأربط بينها وبين سلوكي، بين واقعي بين حياتي، أصحح بها أخلاقي، قال الحسن البصري:" قد ينتهي الإنسان أو الفرد أو الواحد منا من القرآن كاملاً ولا تجد له أثراً للقرآن في حياة أو سلوك أو خلق".

قدمت سورة الإسراء في الآيات الأخيرة في الآية مائة وواحد نماذج لما فعله بنو إسرائيل حين طلبوا من موسى عليه السلام تسع آيات بينات نزلت عليهم حسية، وكانت النتيجة، التكذيب (فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠١)) فالمطلوب الإيمان بالكتاب والعودة إلى هذا القرآن والتمسك به ولذا جاء في أواخر سورة الإسراء مجدداً الحديث عن القرآن (وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا {١٠٥} وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً {١٠٦}) أوضحت كيفية الإستفادة منه:

أن يقرأ الإنسان على مكث أن يقرأ على مهل بسلاسة القرآن آية آية كلمة كلمة حرفاً حرفاً ينظر إليها يربط بينها وبين الواقع الذي يعيش فيه ماذا تريد مني هذه الآية؟ كيف ستداويني هذه الآية؟ كيف ستعالج الأزمة التي أعيش فيها؟ حينها فقط يقع للإنسان ما جاءت به الآية الأخرى (قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَو لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ (١٠٧) أي القرآن (يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا {١٠٧} {وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً {١٠٨} وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا {١٠٩})، أي الإذعان والتسليم والخضوع المطلق لله عز وجل لتعاليم القرآن العظيم فيشعر بأنس وبحلاوة الإيمان تلك الحلاوة التي لم تغب ولم تنطلي حتى على كفار قريش حين قال الوليد بن عتبة عندما استمع للقرآن وهو كافر به (إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة) حلاوة القرآن ينبغي أن تعود اليوم في حياتنا لتمسح المرارة التي نعاني منها في قلوبنا ونفوسنا ومشاعرنا وأزماتنا ومجتمعاتنا. وهذا لن يتحقق إلا بتصحيح العلاقة مع القرآن والحذر من الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل حين أعرضوا عن التوراة حين صدوا عن التوراة حين كانت التوراة في حياتهم هامشية.